

الزيادة ومعانيها في أبنية الأفعال في سورة النساء (دراسة صيغة فَعَلْ أنموذجاً)
Augmentation and Its Semantic Functions in Verb Patterns in Sūrat al-Nisā': A Study of the Form fa'ala

باسم كاظم حسون^١، جامعة شيراز، إيران
kazmb8985@gmail.com
د. اسحق رحمانی، جامعة شيراز، إيران
esrahmani@yahoo.com

تاريخ التسليم: 2025/11/24 تاريخ المراجعة: 2025/12/21 تاريخ القبول: 2025/12/31

Abstract

المخلص

This research aims to study the impact of the increased use of the augmented verb form "fa'ala" in Surah An-Nisa, and to uncover the morphological and semantic functions that this increase produces within the context of the verses. The research employed two integrated methodologies: an inductive approach to identify verbs in the "fa'ala" form within the Surah and collect their examples, and a descriptive-analytical approach to deduce the morphological and pragmatic meanings derived from them by consulting linguistic and exegetical texts. The results demonstrated that the "fa'ala" form is not merely a phonetic transformation, but rather a sophisticated rhetorical tool that contributes to constructing and highlighting Qur'anic meaning with the highest degree of precision and clarity.

Keywords : Qur'an, Sūrat al-Nisā', verb patterns, augmentation, pattern fa'ala.

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الزيادة في أبنية الأفعال المزيدة بصيغة فَعَلْ في سورة النساء، والكشف عن الوظائف الصرفية والدلالية التي أحدثتها هذه الزيادة في سياق الآيات. اعتمد البحث منهجين متكاملين، المنهج الاستقرائي لرصد الأفعال الواردة على صيغة فَعَلْ في السورة وجمع شواهدا، والمنهج الوصفي التحليلي لاستنباط الدلالات الصرفية والمعاني التداولية المستفادة منها بالرجوع إلى كتب اللغة والتفسير. أظهرت النتائج إلى أنّ صيغة فَعَلْ ليست مجرد تحويل صوتي، بل أداة بيانية محكمة تسهم في بناء المعنى القرآني وإبرازه بأعلى درجات الإحكام والدقة. **الكلمات المفتاحية:** القرآن الكريم، سورة النساء، أبنية الأفعال، الزيادة، صيغة فَعَلْ.

1- مقدمة:

يعدّ علم التصريف علماً أساسياً يهتم بضبط هيكل الكلمات العربية وحماية نطقها من الخطأ والتحريف. فبدون هذا العلم، يصعب التمييز بين معاني كلمات مثل "عبرة" و"عبرة"، ولا يمكن تحديد أصلها في المعاجم إلا من خلال علم الصرف. كما يقدم علم التصريف فوائد أخرى مهمة، منها تسهيل التعرف على الجذر الأصلي للمفردات في المعاجم العربية، خاصة في الحالات الصعبة مثل الأسماء التي حدث فيها نقل لحروفها، والأفعال التي تحتوي على حروف علة؛ وضمان الاستخدام اللغوي الصحيح والسليم، حيث يمكن المتحدث أو الكاتب من التمييز بين الفروق الدقيقة مثل الفرق بين "وعد" و"أوعد" (رجب، 2002، ص38) تتعدد آراء العلماء، سواء القدامى أو المحدثين، حول أبنية الأفعال المزيدة ودلالاتها، وهو ما أدى بدوره إلى تباين وجهات نظرهم في تفسير معاني زيادات بعض الأفعال في السور القرآنية. ويمكن إرجاع جذور هذا الخلاف إلى عدة أسباب، منها؛ اختلاف آراء النحويين من البصريين والكوفيين حول بعض القضايا الصرفية؛ وتأثر بعض الباحثين المحدثين في مجال اللسانيات الوصفية بالمناهج الغربية في التحليل اللغوي؛ واختلاف المفسرين أنفسهم أحياناً في تحديد المعنى المعجمي الأصلي للفعل، أو في فهم السياق العام للآيات التي وردت فيها هذه الأفعال (روان، 2023، ص7)

ومن هنا يسعى البحث لتوضيح مفهوم الزيادة ووظيفتها وأهميتها في الدرس الصرفي، وتطبيق ذلك على سورة النساء ورصد المعاني التي جاءت بها حروف الزيادة في صيغة فعل في هذه السورة. تأتي أهمية هذه الدراسة إلى أنها تقوم بتحقيق التعرف على إحدى قضايا علم الصرف المهمة، وهي معاني أبنية الأفعال المزيدة. والوقوف على دلالات أبنية الأفعال المزيدة في سورة النساء، والتأمل في أحد أسرار لغة القرآن الكريم الذي يمثل قمة البيان. بناء على ما سبق تسعى الدراسة الحالية الإجابة على السؤال التالي مستعينة بالمنهجين الاستقرائي والوصفي التحليلي:

ما أثر الزيادة في أبنية صيغة فعل في سورة النساء على المعاني الصرفية من خلال سياق الآيات؟

الدراسات السابقة:

ولقد كثرت الدراسات القديمة والحديثة التي تناولت موضوع معاني الزيادات في أبنية الأفعال، وفي هنا نشير إلى أهمها، منها:

دراسة رحاب مهند جاسم (2017) تناولت أبنية الأفعال المزیدة في السور القصار قسمت إلى مبحثين: الأول: يتضمن جانبين: الأول: تضمن أبنية الأفعال المجردة الثلاثية والرابعة ومعانيها ومواضع ورودها في السور القصار، أما الجانب الثاني: فتضمن أغراض الزيادة وحروفها والأفعال التي وردت مزیدة في السورة القصار حسب المعنى الذي أفادته، أما المبحث الثاني: فتضمن تفسير الآيات حسب التنبیه على الأفعال المزیدة كانت مزیدة بحرف أو حرفين أو ثلاثة وبيان الفرق في المعنى بين الآيات التي تحتوي الفعل نفسه.

تناولت دراسة بوخيرة عبدالجليل (2022) الموسومة بـ«الزيادة ومعانيها في أبنية الأفعال في سورة مريم: دراسة صرفية دلالية» إشكالية تحديد الدلالات التي تحملها الأفعال المزیدة في السورة. واعتمدت المنهجية على تحليل بنية الأفعال المزیدة وتتبع معانيها في سياقاتها المختلفة. تهدف دراسة روان (2023) إلى تحليل معاني الزيادة في أبنية الأفعال من خلال منظور علماء اللغة القدامى والمحدثين، مع اتخاذ سورة الأنفال نموذجاً تطبيقياً.

دراسة نزيهة (2023) إنّ الهدف من دراسة أبنية الفعل المزید في سورة القصص بحيث تقتصر الدراسة على الفعل المزید و أبنيته انطلاقاً من البعد الدلالي لأنها تختلف في الأبنية بذلك تختلف معانيها أي كل تغير في الأبنية يؤدي إلى تغير في الدلالة وذلك حسب نوع الزيادة لذلك اقتصرت الدراسة على سورة القصص وكشف معاني الأفعال المزیدة فيه.

2. الإطار النظري

تعريف الزيادة لغة واصطلاحاً:

يعرف القدماء الزيادة، كما يوضح ابن يعیش، بأنها «إلحاق الكلمة ما ليس منها إما لإفادة معنى، وإما لضرب من التوسع في اللغة» (ابن يعیش، 2001، ص151). ويذكر ابن منظور في لسان العرب أن معنى الزيادة هو النمو، وهي عكس النقصان، فيقال «زاد الشيء يزيد زيادة»، أي نما وكثر (ابن منظور، 1997، ص3، 198). وبالتالي فإن الزيادة تمثل أحد

أهم مصادر إثراء المعاني وتنوع طرق الأداء. وتتحقق هذه الزيادة بإضافة حرف من الأحرف العشرة التي جمعت في جملة "سألتمونيها"، حيث يتم اختيار الحرف المناسب وفقاً للمعنى المطلوب.

2-1. معاني وزن فَعْل:

علماء الصرف اختلفوا في تحديد معاني صيغة فَعْل، فتراوحت بين التكثير والمبالغة، التعدية، السلب والإزالة، الصيرورة، التوجه، نسبة الشيء إلى أصل الفعل، قبول الشيء، الدعاء، اختصار الحكاية، وأيضاً بمعنى الأصل "فعل"، بمعنى أفعل، بمعنى مضاد لأفعل، بمعنى تفعل، واتخاذ الفعل من الاسم. (عطية، 2002، ص18)

3. القسم التحليلي

صيغة فَعْل تكون الزيادة فيها بالتضعيف في عين الفعل، مثل: فَرَحَ، زَكَّى، وَلَّى، بَرَأَ، نَوَّرَ، أَدَبَ. فيما يلي نتناول صيغة فَعْل والمعاني الصرفية التي تفيدها مستعيناً بأقوال المفسرين:

3-1. التعدية والمبالغة

في قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴿٢٣﴾

الفعل "حُرِّمَتْ" في قوله تعالى جاء على وزن فَعْل (مبني للمجهول من صيغة فَعْل). وأصله "حَرَّمَ"، وهو فعل مزيد بالتضعيف على الثلاثي "حَرَّمَ". من معاني (فَعْل) التي أوردناها، ينطبق على "حَرَّمَ" ما يلي:

أ. التعدية: "حَرَّمَ" لازم، يقال "حَرَّمَ الشيء" أي كان ذا حرمة وبالتضعيف صار متعدياً "حَرَّمَ الله كذا" أي جعله محرماً.

ب. التكثير والمبالغة: صيغة فَعْل قد تأتي للمبالغة والتأكيد، والتحريم في الشرع فيه معنى المنع الشديد. "حَرَّمَ" لا بمعنى منع فقط، بل منع منعاً مؤكداً متكرراً ونستشف ذلك من رأي الطبري حيث يقول: «حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم» أي "منع عليكم نكاح أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم... تحريماً أبداً" (الطبري، 1955، ص8، 138). كما قال الزمخشري «حُرِّمَتْ: حُظِرَ عليكم نكاحهن حظراً شديداً» (الزمخشري، 1987، ص1، 153).

إذن معنى "حُرِّمَتْ" في الآية هو منعت عليكم أمهاتكم منعاً شرعياً مؤكداً (من الله تعالى)، وهذا يدخل تحت معنيي التعدية والمبالغة.

كما في قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٢٦﴾

فإنَّ الفعل "بَيَّنَّ" مزيد بالتضعيف على وزن فَعَّلَ، وأصله من الجذر (ب ي ن) الذي يدل على الانفصال والظهور. الفعل المجرد "بان" لازم بمعنى "ظهر"، ولكن بصيغة التفعيل صار متعدياً، أي جعل الشيء ظاهراً لغيره. وهذا هو أبرز معاني صيغة فَعَّلَ أي التعدية. كما أن التضعيف في "بَيَّنَّ" أفاد المبالغة، أي ليس مجرد إيضاح جزئي، بل إيضاح تام يرفع كل لبس. وهكذا يظهر أن الفعل في صيغته المزيادة حمل معنى الإيضاح الشامل الموجَّه للمتلقِّي. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ [النساء: 26]. المعنى أن الله تعالى يقصد أن يوضِّح للمؤمنين أحكامه وتشريعاته، ويكشف لهم معالم الحلال والحرام. هذا المعنى يتفق مع الدلالة الصرفية للتعدية، فالله جل وعلا هو الفاعل الذي يجعل أحكامه بيَّنة للعباد. كما يتفق مع دلالة المبالغة، فالتبيين هنا تفصيل كامل لا يترك مجالاً للغموض. وقد فسَّر المفسرون هذا الموضع بما يوافق ذلك؛ الطبري قال «ليبين لكم معالم دينه» (الطبري، 1955: 528/8). والزمخشري قال «ليوضح لكم الحق من الباطل» (الزمخشري، 1987: 521/1). وابن عاشور قال «أي يوضح لكم الشرائع تفصيلاً بعد أن كانت مجملة» (ابن عاشور، 1984: 22/5).

وفي قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴿٦٢﴾

الفعل "قَدَّمَتْ" من الجذر ق د م، وهو على وزن فَعَّلَ (قَدَّمَ)، ويعني في أصله التقدُّم، والمضيَّ أمام غيره. ولكن صيغة التفعيل هنا أضافت ظلالاً صرفية متنوِّعة يمكن قراءتها في سياق الآية، وزن فَعَّلَ يفيد المبالغة في الفعل، مثل قَتَلَ (أكثر القتل). وهنا "قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ" أي كثرة ما ارتكبه من الأعمال السيئة، وتوالي جنایاتهم التي سبَّبت المصيبة. قال الطبري «المعنى بما أسلفت أيديهم من الذنوب والمعاصي» (الطبري، 1955: 300/9). فالآية تشير إلى أن كثرة أفعالهم الماضية كانت السبب في حلول المصيبة. الفعل "قَدَّمَ" في المجرد لازم (بمعنى تَقَدَّمَ بنفسه)، لكن حين جاء بصيغة فَعَّلَ (قَدَّمَ) صار متعدياً أي جعل الشيء متقدِّماً أو موجَّهاً إلى الأمام. في سياق الآية "قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ" أي: جعلت أعمالهم السيئة أمامهم كرسيد يحاسبون

عليه. ابن عاشور قال «تقديم اليدين كناية عن مباشرة الأعمال؛ لأن اليدين أعظم أدوات الكسب» (ابن عاشور، 1984: 103/5). إذن «قَدَّمتُ» في الآية تحمل أكثر من دلالة صرفية وهي التكثرير والمبالغة، والتعديّة.

وفي قوله تعالى: وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ ﴿٨٤﴾

والفعل "حَرَّضَ" على وزن "فَعَّلَ" يدل على كثرة المبالغة في الدعوة والتحسيس. أي شَدَّدَ في حَثِّهم وكرَّرَ النداء لهم للجهاد. قال الطبري «حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ: حَثَّهم وشَجَّعهم» (الطبري، 1955: 273/9). وقال الزمخشري «حَرَّضَ: بالغ في الحَثِّ» (الزمخشري، 1987: 526/1). وأشار ابن عاشور إلى أَنَّ «التحريض أبلغ من الحَثِّ، لأنه تهيج مقرون بالتذكير بعواقب الخير» (ابن عاشور، 1984: 238/5). "حَرَّضَ" في أصل الثلاثي يدل على الهلاك والضعف (حَرَّضَ المريض: دنا من الموت)، فلما جاء بصيغة "فَعَّلَ" صار متعدداً بمعنى جعل غيره في حالة "التحريض"، أي دفعه وحمَّسه. وكان المعنى اجعل المؤمنين متوجَّهين إلى القتال متحرِّقين عليه. بناء على ما سبق "حَرَّضَ" جاءت على وزن "فَعَّلَ" لتفيد المبالغة في الحَثِّ، مع معنى التعديّة (إثارة الحماسة في غيره)، فيكون المطلوب من النبي صلى الله عليه وآله أن يبذل أقصى جهد في تقوية عزائم المؤمنين للقتال.

3-2. التعديّة والإزالة والسلب

في قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

صيغة "يُخَفِّفَ" تفيد أن الله تعالى لا يجعل الإنسان خفيفاً بنفسه، وإنما هو الذي يرفع عنه ما يثقله من التكالييف. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]. المعنى أن الله عز وجل يريد بعباده التيسير، فيخفف عنهم التكالييف التي يشق عليهم القيام بها. وهذا المعنى منطبق تماماً مع الصيغة الصرفية، فالتفعل هنا يفيد إزالة الثَقْل (السلب) وتيسير العبادة (التعديّة). وهو ما بيّنه المفسرون حيث قال ابن كثير: «أي في شرائعه وأوامره ونواهيه» (ابن كثير، 1998: 585/1).

بناء على ما سبق يتبيّن أن الفعل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ جاء بصيغة فَعَّلَ ليفيد التعديّة والمبالغة أي جعل الأحكام واضحة غاية الوضوح. والفعل ﴿يُخَفِّفَ﴾ جاء بصيغة فَعَّلَ ليفيد التعديّة والسلب

أي إزالة المشقة وجعل التكاليف أخفّ. وبذلك يظهر أن الدلالة الصرفية أسهمت مباشرة في بناء المعنى التفسيري، وأن اختيار صيغة فعل لم يكن عفواً، بل جاء لتحقيق هذا التناسب الدقيق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

وفي قوله تعالى: وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

الأصل "أخر" قد يستعمل لازماً بمعنى تأخر، فإذا ضوعف قيل: «أخر» أي جعله متأخراً. فالصيغة هنا على معنى التعدية أي جعلنا متأخرين عن هذا الحكم، أو أخر عنا فرض القتال. الزمخشري قال: «معناه: هلا أخرت فرضه عنا إلى وقت آخر قريب» (الزمخشري، 1987: 514/1). إذن هنا صيغة فعل جاءت لنقل الفعل من اللازم إلى التعدي، أي لو لم تجعلنا متأخرين عن هذا الحكم؟" أو "هلا جعلتنا مؤخرين". «أخر» يمكن أن يفهم أيضاً في ضوء معنى السلب أي إزالة التعجيل، أو رفع الإلزام الفوري. فكأن قولهم: «لولا أخرتنا» أي لولا أزلت عنا المبادرة بالقتال، وأزلت حكم تعجيله، وجعلته متأخراً. ابن عاشور فسر هذا بقوله «أي هلا جعلت فرضه مؤخراً عن هذا الوقت، أي أخرته فلم تعجله» (ابن عاشور، 1984: 133/5). فالمعنى هنا قرب إلى السلب أي إزالة المبادرة، وإبعاد زمن الفرض. فالوزن "فعل" هنا أدى وظيفته في التعدية والسلب معاً، فجعل المعنى «هلا جعلت فرض القتال متأخراً عنا، وأزلت عنا تعجيله».

3-3. المبالغة والإزالة

وفي قوله تعالى: إِنَّ تَجْتَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

فيما يتعلق بالفعل المزيد الرابع في الآيتين ففعل نُكْفِّرُ الأصل الثلاثي له هو كَفَرَ، ومعناه في اللغة "ستر وغطى". وعندما يزداد بالتضعيف في صيغة فعل فيصبح كَفَّرَ، ينتقل معناه من مجرد الستر إلى إزالة الشيء وطمسه والتكثير في الستر. فالزيادة في المبنى هنا أورثت زيادة في المعنى، وأكسبت الفعل دلالة المبالغة والإزالة معاً. والمعنى إن اجتبتكم الكبائر ستر الله

عليكم صغائر الذنوب، وأزال أثرها عنكم، فلا تعاقبون عليها. وهنا يظهر أن "تُكَفَّر" لا يراد به مجرد التغطية، بل الستر الكامل مع الإزالة التامة لأثر الذنب.

3-4. التكثير والمبالغة

وفي قوله تعالى: وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

نلاحظ أن الفعل فَضَّلَ على وزن فَعَّلَ (التضعيف)، وهو مأخوذ من الجذر (ف ض ل) الذي يدل على الزيادة والخير. وبحسب معاني صيغة فَعَّلَ التي جمعها الصرفيون فإنَّ "فَضَّلَ" يدخل تحت معنيين بارزين، الأول التكثير والمبالغة أي أن التفضيل ليس لحالة واحدة أو في أمر ضيق، بل هو في أوجه متعددة من النعم والخصائص. فيما يتعلّق بأقوال المفسرين فيما يخص معنى فَضَّلَ فإنَّ الطبري يفسر "فَضَّلَ اللَّهُ" بأن الله خَصَّ بعض عباده بزيادة في الرزق، أو القوة، أو الفضل الديني (كالعلم والجهاد)، أو في الدنيا (كالمال). فهو تفضيل متنوع بتقدير الله (الطبري، 1955، ص 8، 297). الزمخشري يرى أنَّ التفضيل هنا يشمل جميع ما فَضَّلَ به الرجال على النساء أو بعض الناس على بعض من مواهب وخصائص، سواء في العقل أو الرأي أو الميراث أو التكليف (الزمخشري، 1987، ص 1، 524). وابن عاشور يوسع المعنى فيجعله عامًا في كل ما جُعِلَ فيه تفاوت بين الناس من فضائل دنيوية أو دينية، ويقول «هو من سنن الله في خلقه» (ابن عاشور، 1984، ص 5، 43). بناءً على ما سبق، يكون معنى "فَضَّلَ" في الآية أن الله جعل بعض الناس أفضل من بعض في أشياء متعددة (رزق، عقل، قوة، وراثته، علم...)، وهذا المعنى يجمع بين التعددية (جعل غيره ذا فضل) والتكثير (كثرة وجوه الفضل وتنوعها).

3-5. الصيرورة والإزالة

وفي قوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا ﴿٣٥﴾

الفعل "يُوقِّق" مشتق من الجذر (و ف ق) على وزن فَعَّل، وهذه الصيغة في الصرف العربي تحمل دلالات متعدّدة، من أهمها الصيرورة والإزالة. والتشديد في العين (فّ) هنا أخرج الفعل من مجرد الموافقة البسيطة "وافق" إلى معنى السلب والإزالة حيث يتضمن المعنى إزالة الخلاف والقطيعة التي كانت قائمة بينهما. أو إلى الصيرورة أي تحويل حال النزاع إلى حال وفاق ومودة، فيصير الله القلوب متألّفة بعد نفور. أكد المفسرون هذا البعد الصرفي والمعنوي الطبري قال «يُوقِّق الله بينهما أي يصلح الله بين الزوجين ويجمع بين قلوبهما إذا أرادوا وجه الله بالإصلاح» (الطبري، 1955: 323/8). الزمخشري بيّن أن التوفيق هو الجمع على طريق واحد وإزالة أسباب التباين (الزمخشري، 1987، ص 1، 528). ابن عاشور أوضح أن التوفيق هو إيجاد الموافقة والملاءمة بين حالين مختلفين، أي جعل الزوجين متوافقين رغم ما بينهما من شقاق (ابن عاشور، 1984، ص 5، 57). يظهر من هذا أن معنى "يُوقِّق" في الآية يتجاوز الموافقة العادية ليعبر عن فعل إلهي عميق يشتمل على إحداث التوافق، إزالة الشقاق، وتحويل الخلاف إلى وفاق. فهو فعل يتضمن معنى الصيرورة والإزالة في آن واحد، مما يبرز أثر الصيغة الصرفية (فَعَّل) في إثراء المعنى القرآني.

وفي قوله تعالى: **يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا** ﴿٤٢﴾

الفعل "تُسَوَّى" هو من باب تفعيل من المادة الثلاثية (س و ي)، وهو يفيد المعاني الآتية:
أ. معنى الصيرورة: "تُسَوَّى" هنا يدل على تحول الأرض إلى هيئة تلائم رغبتهم، أي أن الأرض تصبح كأنها تمحو أثرهم أو تخفيهم.

ب. معنى السلب والإزالة: يمكن فهم "تُسَوَّى" على معنى إزالة الوجود أو المساس بالكيان، أي يودون لو أزلت الأرض آثارهم وأخطاءهم. القرطبي، يوضح أن الكفار يتمنون إزالة وجودهم أو آثارهم على الأرض، أي محو أثرهم أو خطاياهم. هذا يتوافق مع المعنى الصرفي للسلب والإزالة. (القرطبي، 1993، ص 5، 202).

3-6. الإزالة والتوجه

وفي قوله تعالى: **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴿٤٦﴾

صيغة فعل قد تدلّ على السلب والإزالة، كقولهم: قشّرت الفاكهة. وهنا يظهر المعنى في "يُحَرِّفُونَ" أي يزيلون الكلمة عن موضعها الأصلي الذي وضعها الله فيه. وهذا ما فسره ابن كثير بقوله: «يضعون الكلمة في غير موضعها، ويحرفون معانيها» (ابن كثير، 1998، ص 2، 366). فالتحريف ليس مجرد إضافة معنى جديد، بل إزالة المعنى الحق واستبداله بالباطل. من دلالات فعل أيضاً معنى التوجّه، كقولهم: شَرَقَ وغَرَبَ. وهذا المعنى حاضر في "يُحَرِّفُونَ"، إذ إن التحريف توجّه بالكلام إلى وجه غير مقصوده، أي صرفه عمداً عن اتجاهه الصحيح. وفي ذلك دلالة على القصد والتعمّد لا على السهو. يتبيّن من هذه المعاني أن "يُحَرِّفُونَ" يحمل دلالاتي الإزالة، والتوجّه المقصود. وهذا ينسجم مع السياق القرآني الذي يذم اليهود على تكرارهم المستمر لتحريف الكلم عن مواضعه، سواء بتحريف الألفاظ أو ليّ المعاني.

3-7. التكرير ونسبة الشيء إلى أصل الفعل

وفي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴿٤٧﴾ الفعل نَزَّلْنَا هو على وزن فعل من مادة (ن ز ل)، وصيغته تدلّ على معان متعدّدة استخلصها الصرفيون للباب الثاني (التفعيل). من أبرز معاني (فعل) أنه يفيد التكرير، أي نزول الوحي مرّة بعد أخرى على مدى زمني ممتد، لا نزولاً واحداً. ولهذا جاء التعبير بـ نَزَّلْنَا في كثير من المواضع ليدل على النزول التدريجي المتكرر للقرآن، بخلاف (أَنزَلْنَا) التي تستعمل أحياناً للدلالة على الإنزال دفعة واحدة. قال الراغب الأصفهاني «النزول إذا كَرَّرَ قيل: نَزَّلْتُ، وإذا أُريد دفعة واحدة قيل: أَنزَلْتُ» (الراغب الأصفهاني، 1992، ص 1108). وهذا المعنى يلائم سياق الآية، إذ الخطاب موجّه لأهل الكتاب ليؤمنوا بالوحي المنزل على محمد شيئاً فشيئاً كما أنزل عليهم من قبل. ومن المعاني التي ذكرها الصرفيون أن صيغة "فعل" قد تفيد نسبة الشيء إلى أصل معناه. فـ "نَزَّلْنَا" يشعر بنسبة هذا الوحي إلى فعل النزول الحقّ من عند الله، لا إلى أي مصدر بشري. فكان الله يقرر هذا القرآن الذي تراه نازلاً هو تنزيلنا نحن، لا من عند غيرنا. قال الطبري في تفسيره «نَزَّلْنَا يعني أنزلنا عليك يا محمد القرآن من عندنا، مصدقاً لما معكم من الكتب» (الطبري، 1955، ص 9، 475). وقال الزمخشري «نَزَّلْنَا بالتكرير، لأن القرآن أنزل نجوماً، أي مفزقاً شيئاً بعد شيء» (الزمخشري، 1987، ص 1، 526).

وذكر ابن عاشور أن التعبير بـ"نَزَّلْنَا" فيه إشارة إلى التدرج المقصود، لكونه أوفق بالتربية والتعليم والاحتجاج المتواصل (ابن عاشور، 1984، ص 5، 60). إذن فالفعل نَزَّلْنَا في الآية يجمع دلالات متعددة من معاني وزن "فعل" التكرير أي نزول متكرر ومفصل. والنسبة أي نسبته إلى مصدره الإلهي الحق. وهذا التنويع الصرفي يثري الدلالة القرآنية، فيجعل كلمة واحدة تحوي إشارات إلى طبيعة الوحي (تدرجياً)، ومصدره (إلهياً)، ووظيفته (مصدقاً لما بين أيديهم).

3-8. المبالغة والتوجه

وفي قوله تعالى: وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ وزن فعل كثيراً ما يفيد التكرير والمبالغة مثل كَسَرَ، قَتَلَ. بَيَّتَ يعني كَرَّرَ التدبير ليلاً، وأمعن فيه سرّاً. المعنى هؤلاء المنافقون لم يكتفوا بمجرد المخالفة، بل أكثروا من التدبير الخفي ضد الرسول. قال الطبري «بيتوا غير الذي تقول: دبّروا ليلاً فيما بينهم خلاف ما أظهموه لك نهاراً» (الطبري، 1955: 528/8). وهذا يوافق معنى التكرير والمبالغة. وزن فعل قد يفيد التوجه: شرق، غرب. بَيَّتَ يمكن أن يحمل على معنى وجّه همّة ليلاً إلى التدبير، أو اتجه إلى المكر في ظلمة الليل. وهذا المعنى أشار إليه الزمخشري «يبيتون أي يضمرون ويعزمون فيما بينهم بالليل خلاف ما أظهموه» (الزمخشري، 1987، ص 2، 358).

3-9. التعدية

وفي قوله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ المفسرون فسروا هذا الفعل بالاتساق مع المعنى الصرفي، الطبري يقول «حتى يُحَكِّمُوكَ: أي حتى يجعلوك حكماً بينهم فيما اختلفوا فيه» (الطبري، 1955، ص 9، 443). الزمخشري يقول في هذا الصدد «أي يرضوا بك حاكماً، فيفوضوا الحكم إليك» (الزمخشري، 1987، ص 1، 526). وابن عاشور يقول «التحكيم هو جعل شخص حكماً في الخصومة، والمقصود التسليم المطلق لقضائه صلى الله عليه وسلم» (ابن عاشور، 1984، ص 5، 5).

269). إذن وزن فعل هنا أفاد معنى التعدية وجعل التحكيم شاملاً، كما أنه أضفى بعداً من المبالغة والإلحاح على وجوب تحكيم النبي (صلى الله عليه وآله).

وفي قوله تعالى: **وَإِذَا حُيِّثُمْ بِنَحْيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴿٨٦﴾**

الفعل حيّاً على وزن فعّل، وهو مشتق من مادة (حَيَّ) التي تدل على الحياة والبركة والدعاء بها. الأصل "حَيَّ" لازم، فجاء "حيّاً" متعدياً ليعني دعا لغيره بالحياة أو بالسلامة، ومن هنا جاء معنى التحية. قال الطبري: «التحية: السلام وغيره من البرّ، فأمر الله المؤمنين أن يردّوا على من حيّاهم بتحية بزيادة أو مثلاً» (الطبري، 1955، ص ص 9، 283). وقال الزمخشري «التحية: السلام، وأصلها الدعاء بالحياة... فأمر الله بالزيادة في الخير أو المماثلة» (الزمخشري، 1987، ص ص 1، 259). وقال ابن عاشور «التحية اسم لكل دعاء بخير، وأشهرها السلام، فأمر الله بالمكافأة أو الزيادة تأكيداً لمبدأ التكافل» (ابن عاشور، 1984، ص ص 5، 238). إذن فصيغة التفعيل هنا جاءت للتعدية (أي جعل الفعل اللازم متعدياً)، فصار معناها إذا سلّم عليكم أحد أو دعا لكم بالخير.

وفي قوله تعالى: **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾**

"علّمك" تعني أفادك العلم وكسّاك المعرفة بما هو من عند الله. الزمخشري قال «علّمك ما لم تكن تعلم» أي علّمك من الغيوب وأحكام الشرع والبيان، فجمع لك بين إنزال الكتاب وتعليم الحكمة والمعارف» (الزمخشري، 1987، ص ص 1، 528). هنا يظهر معنى التعدية إلى مفعولين أي جعلك عالماً بأمور لم تكن تدركها. ابن عاشور قال «علّمك ما لم تكن تعلم أي علّمك العلوم التي اختصك الله بها من شرائع الدين والقصص وأخبار الأمم وأسرار التشريع، وهو ما لا سبيل لمعرفته إلا بتعليم إلهي» (ابن عاشور، 1984، ص ص 5، 203). يركز على أنّ التعليم هنا إلهام خاص من الله، لا تعليم بشري. المفسرون متفقون على أن معنى "علّمك" هو إكسابك العلم بالكتاب والحكمة والمعارف التي لم تكن تدركها بجهد بشري، وإنما بتعليم رباني مباشر. إذن فعل "علّمك" يفيد هنا الإفادة الإلهية الخاصة للعلم، بإكساب النبي صلى الله عليه وآله معارف الكتاب والحكمة وما غاب عن طاقته البشرية، على وجه التعدية المباشرة من الله إلى رسوله.

3-10. التكثير والمبالغة

وفي قوله تعالى: وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾

أصل الفعل من بَطَّؤَ (فعل ثلاثي لازم) بمعنى "تأخَّر وتثاقل". وعند صوغه على وزن فَعَلَ صار «بطأ»، أي جعله متعدياً أو دالاً على التكثير والمبالغة في الفعل. وفق معاني «فَعَلَ»، المعنى الأقرب هنا هو التكثير والمبالغة؛ لأن المراد ليس مجرد التأخر، بل كثرة التثاقل والتخلف عن المشاركة في الجهاد، أو الإبطاء عن نصرة المؤمنين. المعنى الصرفي هنا يضيف شحنة دلالية أقوى فهو لا يصف بطئاً عادياً، بل بطئاً متعمداً متكرراً فيه تثاقل وتخلف. قال الطبري: «وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ: أي لَيُبَطِّئَنَّ عن القتال وَيُبَطِّئُ غيره عنه» (الطبري، 1995، ص 419،9). وقال الزمخشري «لَيُبَطِّئَنَّ: أي لَيَتَثَاوَلَنَّ وَلَيَتَأَخَّرَنَّ عَنْكُمْ» (الزمخشري، 1987، ص 523،1). وقال ابن عاشور «الإبطاء هو التثاقل عن الشيء مع إمكان المبادرة إليه» (ابن عاشور، 1984، ص 262،5). إذن، أنسب معنى صرفي في الآية هو المبالغة في البطء والتثاقل.

وفي قوله تعالى: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الدِّينِ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾

وزن "فَعَلَ" يدلّ غالباً على التكثير، فيقال "كلّفته" أي حمّله أموراً كثيرة أو عظيمة. وعليه، فإنّ قوله تعالى لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ أي لَا تَحْمَلْ فَوْق طَاقَتِكَ وَلَا تُلْزَمْ بِأَعْيَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بل أنت مسؤول عن نفسك فقط. قال الطبري «لا تكلف إلا نفسك، أي لا تؤاخذ إلا بعملك» (الطبري، 1955، ص 272،9). وقال الزمخشري «أي لا تلزم إلا نفسك في الجهاد، فقاتل ولو لم يقاتل معك أحد» (الزمخشري، 1987، ص 526،1). وأوضح ابن عاشور أنّ التقييد بالنفس يفيد قصر التكليف على ما هو في وسع الفرد، لا على ما يفعله غيره (ابن عاشور، 1984، ص 238،5).

3-11. مجموعة من المعاني

وفي قوله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

الفعل «يُسَلِّمُوا» مشتق من الجذر الثلاثي سلم، والأصل «سَلِمَ» بمعنى نجا أو خلاص، وهو فعل لازم. عند صياغته على وزن فَعَلَ أصبح متعدياً، أي جعله متعدياً لمفعولين في الدلالة أي جعل النفس مذعنة للحكم، أي قبول حكم الرسول (ص) دون اعتراض. وزن فَعَلَ هنا يحمل دلالات متعددة منها التعدية حيث حمل النفس على الإذعان الكامل. والمبالغة أي الإذعان ليس شكلياً فحسب بل يشمل الباطن والظاهر، مؤكداً التسليم المطلق. ويفيد أيضاً معنى قبول الشيء أي القبول الكامل للحكم بما يحقق شرط الإيمان الكامل. قال الطبري «ويسلموا تسليماً: أي ينقادوا لحكمك انقياداً لا يجدون معه في أنفسهم حرجاً» (الطبري، 1955، ص 445،9). وقال الزمخشري «أي يذعنوا ويخضعوا خضوعاً كاملاً» (الزمخشري، 1987، ص 527،1). وقال ابن عاشور «التسليم هو إذعان الباطن مع انقياد الظاهر، فجاء به مقروناً بالمصدر لزيادة تأكيد المعنى» (ابن عاشور، 1984، ص 270،5). الوزن «فَعَلَ» هنا يفيد التعدية (جعل النفس مذعنة) مقروناً بالمبالغة (إذعان ظاهر وباطن بلا تردد)، مما يرسخ أن تمام الإيمان لا يتحقق إلا بالتسليم الكامل لحكم الرسول. بناء على ما سبق «يُحَكِّمُوكَ»: على وزن فَعَلَ، يدل على التعدية (جعل الرسول حكماً) مع دلالة على المبالغة في التحكيم. و«يُسَلِّمُوا» على وزن فَعَلَ أيضاً، يفيد التعدية (جعل النفس مذعنة) مع تأكيد المبالغة في القبول والإذعان الباطني والظاهري.

وفي قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

صيغة التفعيل تدل في أصلها على التكرير والمبالغة. والفعل "سَلَّطَ" من "سَلَّطَ" أي قهر وغلب، فإذا جاء على وزن فَعَلَ أفاد معنى التمكين المتكرر والمبالغ فيه، أي لو شاء الله لكثر تسليطهم عليكم وهياً لهم الغلبة مراراً. وهذا المعنى ينسجم مع تفسير ابن عاشور الذي قال «المعنى: لو شاء الله لأعطاهم قوة يتمكّنون بها منكم» (ابن عاشور، 1984، ص 5، 236). فهو إذن تكثر في فعل التمكين. الأصل الثلاثي "سَلَّطَ" يدل على القهر والغلبة، فإذا

عَدَّى بالتضعيف صار المعنى جعل غيره ذا تسلط. أي أن الله لو شاء لجعل هؤلاء المشركين ممكنين منكم. وهذا ما فسره الطبري بقوله «يعني جلّ ثناءه بقوله (لسلطهم عليكم): لأنفذهم عليكم فقهروكم» (الطبري، 1955، ص 9، 276). فالتضعيف هنا حمل الفعل من اللزوم إلى التعدية القوية. بعض معاني التفعيل تأتي للسلب والإزالة (مثل: قَشَر = أزال القشر). لكن هنا لا يصلح هذا المعنى إلا إذا فهم على أنه إزالة منع الله عنهم، أي لو شاء الله لأزال عنهم المانع وخلق بينهم وبينكم، فتمّ لهم التسلط. وهذا قريب مما لمح إليه الزمخشري حين قال «لو شاء الله لأطلق أيديهم فغلبوكم» (الزمخشري، 1987، ص 1/525). قد تأتي صيغة التفعيل للدلالة على الصيرورة (مثل: حَجَر الطين = صار الطين كالحجر). وهنا يمكن أن يفهم «سلطهم» بمعنى صيّرهم أصحاب سلطة عليكم. أي منحهم حالاً جديدة من القوة والغلبة. وهذا يتفق مع ما قاله الرازي في مفاتيح الغيب «المعنى لو شاء الله لصيّرهم بحيث يملكون أمركم» (الرازي، 1981، ص 10، 145). من منطلق هذا الأمر إنّ المعنى الأنسب في الآية هو مزيج من: التعدية أي جعلهم قادرين عليكم (تمكين). والتكثير والمبالغة أي بتكرار الغلبة والتمكين. والصيرورة أي تحويلهم إلى متسلطين قاهرين. فالآية تؤكد أن امتناعهم عن قتال المؤمنين ليس لقوتهم ولا لفضلهم، بل لأن الله لم يُرد أن يسلطهم، ولو شاء لهيأ لهم كل أسباب الغلبة. إذن، معنى لَسَلَطَهُمْ هو لجعلهم الله ذوي قدرة وغلبة عليكم، ومكّنهم منكم تمكيناً متكرراً حتى يقهروكم، ولكنه لم يشأ ذلك.

وفي قوله تعالى: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ ﴿١٠٢﴾

الفعل فَلْيُصَلُّوا على وزن فَعَلَ: (صَلَّى) = شَدَّ عينه. "فَعَلَ" كثيراً ما يدل على التكثير. الصلاة في صيغة "فَعَلَ" (صَلَّى) ليست صلاة واحدة وإنما أفعال متعددة (ركوع، سجود، قيام، قعود) متكررة في كل ركعة. فالتكثير ظاهر جداً في صيغة "فَعَلَ" هنا. ومن معاني "فَعَلَ" أن يأتي اختصاراً لجملة. فقولنا "صَلَّى" أي أدّى الصلاة كلها (الركوع والسجود والقيام) دون تفصيل. وهذا المعنى حاضر جداً، إذ يكفي لفظ "صَلَّى" ليدل على جملة كاملة من الأفعال التعبدية. "فَعَلَ" قد يأتي بمعنى التوجه، مثل "غَرَبَ" أي توجه غرباً. وهنا "صَلَّى" فيه معنى

التوجه إلى الله بالعبادة، والتوجه إلى القبلة. فيما يتعلّق بأقوال المفسّرين في معنى "فليصلوا" يقول الطبري «فليصلوا معك أي فليؤدوا الصلاة خلفك بالركوع والسجود على صفة صلاة الخوف» (الطبري، 1955، ص ص9، 222). يرى الزمخشري بأنّ «فليصلوا معك أي فليتابعوك في الصلاة، وفيه الأمر بأداء الصلاة على النحو الذي تصفه الآية» (الزمخشري، 1987، ص ص1، 541). يقول ابن كثير «أي فليصلوا معك صلاة الخوف التي شرعها الله لعباده» (ابن كثير، 1998، ص ص2، 364). كما يرى ابن عاشور «فليصلوا معك: أي فليدخلوا في الصلاة التي أنت فيها، وفي ذلك بيان لكيفية صلاة الخوف» (ابن عاشور، 1984، ص ص5، 287). كلهم أجمعوا على أن معنى "فليصلوا" فليؤدوا الصلاة المخصوصة (صلاة الخوف) على وجهها. بناء على ما سبق فإنّ المعنى الأنسب لفعل «فليصلوا» في هذه الآية هو "فليؤدوا الصلاة معك على وجهها المخصوص (صلاة الخوف)، متضمنةً الركوع والسجود وسائر الأركان". وصيغة فعل هنا جمعت معاني التكثير (لأن الصلاة أفعال كثيرة). اختصار الحكاية (إيجاز لمجموعة من الأفعال التعبدية). التوجه (توجه العبد إلى الله وإلى القبلة).

وفي قوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

الفعل "تُولِهِ" في باب تفعليل حدث فيه تضعيف العين (اللام الأولى من الجذر)، فصار متعدّيًا بعد أن كان في أصله قد يُستعمل لازماً (وَلِيَ الشيء أي قَرُب منه أو صار وَلِيّه). من أبرز معاني فعل أنه يعدّي الفعل اللازم إلى المفعول "وَلِيَ الشيء" قد يكون لازماً بمعنى اقترب أو اتّجه، فجاء "وَلِيئُهُ" بمعنى "جعلته يلي ذلك الأمر أو يتّجه إليه". في سياق الآية "تُولِهِ ما تَوَلَّى" أي نجعله متّجهاً إلى ما اختار من باطل وضلال. الطبري يقول «نَجْعَلُهُ والياً لما تَوَلَّى من خلاف الرسول» (الطبري، 1955، ص ص9، 372). كما قال الزمخشري «نُحَلِّ بينه وبين ما تَوَلَّى من الضلالة فنتركه له ونخذه» (الزمخشري، 1987، ص ص1، 516). إذن التعدية هنا واضحة الله يجعل الكافر متوجّهاً ومعطى لما أراده من الباطل. ومن معاني التفعليل التكثير في الفعل. "تُولِهِ" قد تفهم بمعنى نكّثر له التولية أي نديمها ونؤكّدها. ابن عاشور يشير

إلى هذا المعنى حين قال «التولية هنا مستعملة في الإدامة، أي نديم إعراضه ونثبت له ما اختاره حتى لا يزول عنه» (ابن عاشور، 1984، ص 5، 238). في السياق الله لا يترك المشاق في حالة تردد، بل يرسخ انغماسه في الضلال الذي تولاه. من معاني التفعيل الصيرورة (جعل الشيء ذا صفة). "تولّه" قد تفيد نجعله صائراً إلى جهة ما تولّى، أي نحولّه إلى حال الملزوم بمتابعة هواه. القرطبي قال «أي نجعله صائراً إلى ما اختاره لنفسه من الضلالة» (القرطبي، 1993، ص 5، 33). المعنى هنا جزاء المخالفة هو أن يجعل الإنسان منقلباً من حال الهدى إلى حال الضلال الراسخ. ومن المعاني التي ذكرها الصرفيون أن "فعل" قد يفيد التوجّه إلى الشيء (شرق، غرب). "تولّه" إذن نُوجّهه ونُديره إلى ما تولّى. الفخر الرازي أشار إلى ذلك بقوله «نُوجّهه إلى ما تولاه ونصرفه إليه صرفاً» (الرازي، 1981، ص 10، 115). وهذا المعنى فيه شدة عقوبة، إذ إن الله يُوجّه الضالّ إلى ما أحبّ رغم كونه باطلاً.

إذن، "تولّه" في الآية الكريمة تشتمل على أكثر من دلالة صرفية، إما التعدية وبهذا يكون المعنى الله يُمكنه من الانصراف إلى ما اختار. أو التكثر والإدامة الله يرسخ ذلك التوجّه ولا يقطعه. أو الصيرورة أي الله يجعله ذا ولاية لذلك الضلال. أو التوجّه فبهذا يعني الله يوجّهه إلى ذلك الباطل بالقهر. وجميعها تلقي في معنى واحد أن من خالف الرسول وأتبع غير سبيل المؤمنين، فإن الله يخلّي بينه وبين ما اختاره من الباطل، بل يجعله متوجّهاً إليه بوجه حاسم دائم، جزاءً وفاقاً. إن المعنى الأنسب لفعل "تولّه" في سياق الآية نجعله صائراً ومتوجّهاً وممكنًا من البقاء في الضلال الذي اختاره، إدامة وتثبيتاً له، بعد أن أعرض عن الهدى. وقد أطبق المفسرون (الطبري، الزمخشري، الرازي، القرطبي، ابن عاشور) على أنّ معنى "تولّه" هو نخلي بينه وبين ما اختاره ونديمه عليه، مع الإشارة إلى معنى الصيرورة والتوجّه كأبعاد بلاغية للفظ. وفي قوله تعالى: **وَلَا ضَلَالَتُهُمْ وَلَا مَتْنِيَّتُهُمْ وَلَا مَرْتَبُهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ أَدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبُهُمْ فَلْيَعْيَرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾**

فعل "لَا مَتْنِيَّتُهُمْ" (من الفعل: مَتَى - يُمَتِّي - تَمْنِيَة) هذا الفعل مأخوذ من الجذر م ن ي الذي يدلّ على التقدير والتصور، ومنه جاء معنى الأمنية. الأصل الثلاثي "مَتَى" قد يُستعمل

لازماً بمعنى قَدَّر أو خطر في النفس، ولكن حين صيغ على وزن فَعَلَ "مَتَّى" صار متعدياً، أي جعل غيره يتمنى. وهنا نلاحظ أثر صيغة التفعيل من حيث التعدية أولاً، إذ جعل الفعل اللازم متعدياً إلى المفعول (الناس الذين يتمنون). كما أن في الصيغة معنى التكثر والمبالغة، حيث لا يكتفي الشيطان بإلقاء أمنية واحدة، بل يكثر من تزيين الأماني الكاذبة في نفوس الناس. كذلك يتجلى معنى الصيرورة، إذ يجعل الشيطان الإنسان صائراً إلى حال من الانغماس في الأوهام. وقد فسّر المفسرون الفعل بهذا المعنى؛ قال الطبري (1955، ص ص 9، 380). وقال بالأباطيل وأطمعهم في الآمال الفاسدة» (الطبري، 1955، ص ص 1، 519). وأشار ابن عاشور إلى أن إسناد التمنية للشيطان مجاز عن إيقاع الوهم في النفوس، وهو من باب المبالغة والتكثر (ابن عاشور، 1984، ص ص 5، 244). إذن معنى "لَأُمْنِيَّتُهُمْ" هو لأُغرِقْنَهُمْ في الأماني الباطلة ولأُكثِرَ لهم من زخرف الأوهام.

فعل "فَلْيَبْتَكََنَّ" أصل الفعل "بَتَكَ" في اللغة قطع. وصيغته على وزن فَعَلَ جاءت هنا "بَتَّكَ"، أي مبالغة في القطع وتكراره. بهذا نلاحظ أول معاني صيغة التفعيل وهو التكثر والمبالغة، فالمقصود ليس قطعاً عابراً بل تكرار هذا الفعل حتى يصير عادة. ثم إن في الصيغة معنى التعدية، إذ جعل الفعل واقعاً على المفعول (آذان الأنعام). كما أن فيه معنى التوجّه، أي التوجّه المقصود والمتكرّر نحو ارتكاب هذا الفعل المنحرف. المفسرون صرّحوا بهذا؛ قال الطبري «فليقطعن آذان الأنعام كما كانت تفعل الجاهلية إذا بحروا الناقة» (الطبري، 1955، ص ص 1، 381). وقال الزمخشري «التبتيك: المبالغة في القطع» (الزمخشري، 1987، ص ص 1، 519). وذكر القرطبي أن "أصل التبتيك التقطيع المستديم (القرطبي، 1993، ص ص 6، 41). أما ابن عاشور فاعتبر أن التبتيك حقيقة في القطع ولكن يراد به ما يلبسه من تغيير خلق الله، فالمبالغة في المعنى ظاهرة (ابن عاشور، 1984، ص ص 5، 245). وعليه يكون معنى "فَلْيَبْتَكََنَّ" هو: فليبالغن في قطع آذان الأنعام تكراراً وعادةً منحرفة.

وفي قوله تعالى: بِشَرِّ الْمُؤَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً ﴿١٣٨﴾

«بشّر» نقلاً لحالة البشر من الذات إلى الغير، أي جعله يبشّر به. وفي الآية، التعدية ظاهرة لأن الفعل تعدّى إلى مفعوله «المنافقين»، ثم إلى الجملة المصدّرة بـ«بأنّ»، أي أخبرهم بعذاب أليم.

من معاني التفعيل «السلب والإزالة»، نحو «قشّر» أي أزال القشر. وهنا قد يقال إن الفعل «بشّر» سلبه للبشرى من معناها الأصلي (السرور) في ظاهر السياق، إذ يستعمل تهكّماً. قال الزمخشري «جعلت البشارة بالعذاب على سبيل التهكم بهم، لأنّ البشارة لا تكون إلا بخير، فجاء بها على وجه من السخرية» (الزمخشري، 1987، ص 1، 523) فوزن التفعيل هنا يسهم في إظهار المفارقة الدلالية إذ الأصل في «بشّر» أن يدلّ على الإخبار بخير، لكن في الآية جاء للتهكم. وبذلك يمكن اعتبار الفعل قد أزيل منه معنى السرور الحقيقي، واستبقي معنى الإخبار الموجّه بإصرار، فيناسب دلالة «فعل» من حيث القوّة والتكثيف في الأداء.

وزن التفعيل يدلّ كذلك على المبالغة والتكثير في الحدث. وفي قوله تعالى «بشّر المنافقين»، المعنى ليس بشارة عادية، بل إيصال الوعيد إليهم بقوة وإصرار وعموم. قال ابن عاشور «أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يبلغ المنافقين وعيد الله إليّاهم بالعذاب، فجاء بالفعل «بشّر» مبالغة في التبليغ، وتهكّماً في الوقت نفسه» (ابن عاشور، 1984، ص 5، 186) فالمبالغة في الإبلاغ والتكرار تقوي التهديد.

ومن معاني «فعل» التوجّه، كما في: «شرق» أي توجّه شرقاً. فـ«بشّر» هنا بمعنى: توجّه إليهم بالإخبار بالعذاب الأليم، أي ليس إخباراً عرضياً، بل إرسال مقصود مخصوص للمنافقين. قال الطبري في تفسيره «أي أقبل عليهم بالإنذار والوعيد كما يُقبل بالبشارة على من يُراد إكرامه، فجاء لفظ البشارة من باب المشاكلة» (الطبري، 1955، ص 9، 215).

الصرفيون أن «فعل» يأتي بمعنى اختصار القول، مثل «كَبّر» أي قال الله أكبر. وعليه، «بشّر» قد يُفهم بمعنى قل لهم بشارَةً، أي بلّغهم خبر العذاب، وهو ما ذهب إليه بعض المفسّرين. قال الفراء في معاني القرآن «المعنى أخبر المنافقين بعذاب أليم، فعبر بالبشارة على وجه المقابلة» (الفراء، 1986، ص 1، 412).

بناء على جميع ما تقدّم، فإنّ المعنى الأنسب لصيغة «بشّر» في الآية هو التعدية مع المبالغة في الإبلاغ، مستعملًا على سبيل التهكم. فالفعل في وزنه «فعل» أكسب المعنى قوّة وإصراراً في البلاغ، واستعمل على وجه تهكمي ليعكس المفارقة بين لفظ البشارة ومعناها الحقيقي في العذاب.

وفي قوله تعالى: **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾**

«كَلَّمَ» يفيد تكثير الفعل وتأكيده، أي أن الله تعالى أكثر مخاطبة موسى عليه السلام وأكّدها تأكيداً خاصاً، ولذلك جاء قوله تعالى «تَكْلِيمًا» توكيداً مصدرياً لرفع توهم المجاز. قال الزمخشري «يُكْرُ المصدر بعد الفعل (تكليماً) لرفع المجاز، أي أنّ الله كَلَّمَهُ حقيقة لا وحيًا فقط» (الزمخشري، 1987، ص ص 1، 511). وكذلك قال الطبري «بيّن الله أن كلامه لموسى كان كلاماً حقيقياً لا رؤياً ولا مناماً» (الطبري، 1955، ص ص 9، 382). إذن فصيغة «فعل» هنا أفادت تكثيراً وتأكيّداً في الفعل ذاته، أي أن الحدث واقع بتمامه وحقيقته لا على سبيل الرمز أو الإلهام.

تدلّ صيغة «فعل» في كثير من الأحيان على التعدية، أي نقل الفعل من اللازم إلى المتعدّي. ولما كان الفعل المجرد «كَلَّمَ» لا يستعمل متعدّياً بنفسه، فإنّ تضعيف العين جعله متعدّياً، أي جعل الفاعل (الله تعالى) يوصل الكلام إلى موسى. وهذا هو المعنى المركزي في الآية، أي أن الله أسمع موسى كلامه مباشرة دون واسطة ملك. وقد نصّ ابن عاشور على هذا المعنى بقوله «(كلم الله موسى تكليماً) أي أن الله أفهمه مراده بوسيلة الكلام دون واسطة، وهو مظهر من مظاهر التخصيص الإلهي» (ابن عاشور، 1984، ص ص 5، 210). فزيادة التضعيف هنا أحدثت نقل الفعل من الذات إلى الغير، أي من المتكلم الإلهي إلى السامع البشري، وهذا معنى صرفي دقيق للتعدية في باب «فعل».

من دلالات صيغة «فعل» أيضاً الصيرورة، أي أن الفاعل يجعل المفعول على صفة معينة. فمن هذا الوجه يمكن القول إن «كَلَّمَ الله موسى» تعني جعله مكَلِّماً، أي صيّره ذا كلام مع ربه، وهو تشريف لم ينله أحد من الأنبياء إلا موسى عليه السلام. وقد أشار إلى ذلك القرطبي بقوله «اختصّ موسى بأن كَلَّمَهُ الله من غير واسطة، فصار مكَلِّماً من الله» (القرطبي، 1993،

ص ص 5، 252). إذن فالصيغة هنا تفيد معنى التحول إلى حالة من الاتصال المباشر بالله تعالى، وهي صيرورة مخصوصة بالنبوة والاصطفاء.

ومن المعاني الأخرى لوزن «فعل» نسبة الفعل إلى أصله. ف«كَلَّمَ» هنا بمعنى نسب الفعل إلى حقيقته؛ أي أَنَّ الله تَكَلَّمَ كلامًا حقيقيًا، لا على سبيل المجاز أو التأويل. ولهذا أكَّد القرآن المصدر بقوله «تَكْلِيمًا» لرفع أي شبهة بأنَّ «الكلام» بمعنى «الوحي». وقد قال الزمخشري في هذا المعنى «في قوله تَكْلِيمًا دلالة على أنه كلام حقيقي لا بمعنى الإلهام أو الإشارة» (الزمخشري، 1987، ص ص 1، 511). فهذا الاستعمال يجسد تمام النسبة إلى أصل المعنى (الكلام الحقيقي لا المجازي).

وفي قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَلًا ﴿٤٩﴾

الفعل يُزَكُّونَ (من زَكَّى يُزَكِّي) هو على وزن تفعيل من مادة (ز ك و)، ودلالاته تتضح في ضوء المعاني التي ذكرها الصرفيون لصيغة فَعَّل. ومن معاني "فَعَّل" نسبة الشيء إلى أصل الفعل، مثل: "كَفَرْتُ زِيدًا" أي نسبته إلى الكفر. وعلى هذا فزَكَّيْتُ فلانًا أي نسبته إلى الزكاء والطهارة. فالمعنى في الآية: أنهم نسبوا أنفسهم إلى الطهارة والبراءة عند الله، وهو ادّعاء باطل، إذ التزكية الحقيقية من الله وحده. من دلالات هذا الوزن أيضاً معنى السلب، كقولهم: "قَشَرْتُ الفاكهة". فيمكن أن يفهم "زَكَّى" على معنى أزال عن نفسه العيب والذنب بادّعاء كاذب، أي زكّوا أنفسهم بزعمهم أنهم مبرّؤون من الخطايا. الفعل "فَعَّل" قد يأتي للتكثير والمبالغة، نحو: "قَتَلَ" و"كَسَرَ". ومن ثمَّ فـ"يُزَكِّونَ" فيه دلالة على المبالغة في دعوى الطهارة، أي أنهم بالغوا في تزكية أنفسهم ومدحها. بناء على ما سبق للفعل يزكّي هنا دلالة على السلب، المبالغة والنسبة، وهو ما يبرز بطلان ادّعائهم ويفيد التوبيخ والإنكار عليهم.

4. النتائج:

أظهرت نتائج التحليل الصرفي-التفسيري لصيغة (فَعَّل) في سورة النساء أَنَّ حضورها لم يأتِ على سبيل التنويع الأسلوبى أو التغاير الشكلي، بل اتَّخذ طابعاً وظيفياً دلاليًا دقيقاً أسهم بصورة مباشرة في بناء الحكم الشرعي وتوجيه المعنى التفسيري. فقد تبين أن أهم الدلالات

الصرفية التي تنتجها هذه الصيغة تتركز في أربعة محاور كبرى وهي التعدية، والتكثير والمبالغة، والسلب والإزالة، والصيرورة والتحويل. فعلى مستوى التعدية، أكدت الدراسة أن التشديد في بناء (فعل) نقل عددًا من الأفعال من الدلالة المجردة اللازمة إلى معنى متعدّ يتطلب مفعولاً به، وهو ما شكّل الأساس في صياغة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال مثل حرّم، بيّن، قدّم، سلّم، حرّض، خفّف، أحرّ، كفّر، فضّل، وفقّ، سوى. كما اتّضح أنّ دلالة التكثير والمبالغة تعدّ من أكثر وظائف هذه الصيغة ظهوراً في سياق الآيات، إذ جاءت لتضخيم الحدث الشرعي وتعميق أثره الدلالي، مثل حرّم بمعنى المنع المؤكّد، وقدّمت أيديهم في الدلالة على تعدّد السيئات، وسلّموا تسليمًا في الإدعان الكامل، وحرّض المؤمنين في الحثّ المتكرّر. وفي موازاة ذلك، أثبت التحليل أنّ صيغة (فعل) أدّت دورًا مركزيًا في دلالات الإزالة والسلب، من خلال أفعال مثل خفّف، أحرّ، كفّر، سوى، حيث ارتبط التشديد بإزالة الثقل، وتأخير الحدث، ومحو أثر الذنب، وإزالة الفوارق وتحقيق الوفاق. كما برزت دلالة الصيرورة والتحويل في أفعال مثل يوفّق، تُسوّى، بما يعكس تحوّلًا في حال الشيء أو انتقاله من هيئة إلى أخرى. وقد بيّن الربط بين التحليل الصرفي وأقوال المفسّرين من الطبري والزمخشري إلى ابن عاشور أنّ الدلالة التفسيرية لهذه المواضع اعتمدت بصورة ضمنية على ما تنتجه صيغة (فعل) من قيم دلالية، حتى وإن لم يصرّح بذلك تحت مسمّى "الدلالة الصرفية". وبناءً على ذلك، خلص البحث إلى أنّ هذه الصيغة ليست مجرد بنية صوتية أو زيادة لفظية، بل هي عنصر دلالي محوري يسهم في ضبط المعنى القرآني، ويسهم في الكشف عن مقاصد النص التشريعية والأخلاقية والتربوية. وتوكّد النتائج النهائية وجود تلازم منهجي بين شكل الصيغة ووظائفها الدلالية، بحيث يعدّ إدراك دلالة (فعل) شرطًا أساسيًا في فهم المراد الشرعي في عدد كبير من مواضع سورة النساء.

قائمة المراجع:

- ابن عاشور، الشيخ محمد، (1984)، تفسير التحرير والتنوير، ج4، 5، 6، تونس: الدار التونسية.
- ابن فارس، (1979)، مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر.

-
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، (1998)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن منظور، (1997)، لسان العرب، ج 3، و11، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.
- يعيش بن علي بن يعيش، أبوالبقاء، (2001)، شرح المفصل، منشورات محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، (1992)، المفردات في غريب القرآن، مصحح:
صفوان عدنان داوودي، بيروت: دار الشامية.
- رجب عبد الجواد إبراهيم (2002) أسس علم تصنيف الأفعال والأسماء، دار الآفاق العربية
- قاهره
- روان، محمد (2023) معاني الزيادة في أبنية الأفعال بين القدامى والمحدثين - سورة
الأئنال أنموذجاً- دراسة صرفية دلالية، رسالة ماجستير في اللغة و الأدب العربي، جامعة
ورقلة الجزائر.
- الزمخشري، جارالله، (1987)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، بيروت: دار
المعرفة.
- الطبري، (1955)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، القاهرة: دار
المعارف.
- عبد الغني، أيمن أمين (1999)، الصرف الكوفي، قلم ابن خلدون، الإسكندرية.
- عطية، جرجي شاهين، (2002). سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ط4، بيروت:
دار الريحاني.
- فخر رازي، محمد بن عمر، (1999)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (1986). معاني القرآن، مصر: دار المصرية للتأليف
والترجمة.
- القرطبي، (1993)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.
- كويحل، جمال، (لاتا)، محاضرات في علم الصرف، جامعة محمد لمين دباغين، المطبوعة
العلمية.
-

- نهر، هادي، (2010). الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية، أريد: عالم الكتب الحديث.